تَخلّي ذكور الحيتان عن الغناء لجذب الإناث..دليل عافية

درجت الحيتان الحدباء بالقرب من سواحل أستراليا خلال المرحلة التي تناقصت فيها أعدادها بفعل الصيد، على اللجوء إلى الغناء لجذب الإناث بغية التزاوج، لكنّ دراسة حديثة أظهرت أن الذكور باتت مضطرة إلى اعتماد أسلوب آخر هو القتال، نظراً إلى اشتداد المنافسة بعد انتعاش أعداد هذا النوع مجدداً.

ومع أنّ ثمة جدلاً بين العلماء في شأن الدور الذي يلعبه بالضبط غناء ذكور الحيتان الحدباء، من الثابت أن هذه الموسيقى تسمح لذكر مهيمن بأن يفوز بأنثى ويصبح ما يُعرف بـ"المرافق الرئيسي" لها.

وأظهرت دراسة أجريت بالقرب من السواحل الشرقية لأستراليا، حيث تهاجر هذه الحيتان الضخمة في موسم التزاوج، أن الحوتيات عدّلت أساليبها مع مرور الزمن للتكيف مع تطور أعدادها.

ولاحظت الدراسة التي نشرتها الخميس مجلة "كوميونيكيشنز بايولوجي" أن الصيد التجاري الذي مورس خلال القرن العشرين جعل الأنواع "على مشارف الانقراض".

إلا أن الحظر الدولي لصيد الحيتان في الثمانينات أدى إلى انتعاش مذهل في أعدادها، إذ ارتفعت من 3700 عام 1997 إلى 27 ألفاً عام 2015، بحسب هذه الدراسة التي أجرتها باحثتان من جامعة كوينزلاند وبريسبان.

ودرست الباحثتان موقع بيريجيان بيتش الذي تأتي إليه مجموعات كبيرة من الحيتان من القارة القطبية الجنوبية لتتزاوج بالقرب من الساحل، على ما أوضحت إحداهما وهي ريبيكا دنلوب لوكالة فرانس برس.

واستُخدمت في دراسة سلوك الحوتيات في الموقع منذ تسعينات القرن الفائت أنظمة تتبع، بينها ما هو صوتيّ لرصد الحيتان التي تغني، وما هو بصري لمراقبة سلوك الحيتان التي يقدر متوسط عمرها المتوقع بنحو 60 عاماً.

وتولت الباحثتان تحليل هذه البيانات التي جُمعَت طوال 18 عاماً، معطوفة على خزعات لتحديد الجنس. وتبيّن لهما أن "نسبة كبيرة من الذكور استخدمت الغناء في السنوات الأولى لجذب الإناث"، بحسب ريبيكا دنلوب.

وكان من النادر جداً وقتها رؤية مجموعات تتنافس على الإناث. ولكن في مطلع العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، حين انتعشت أعداد الحيتان، لاحظ العلماء انخفاضاً في استخدام الغناء كاستراتيجية للتزاوج، إذ انخفضت نسبة الحيتان الغنائية إلى واحد فقط من كل عشرة عام 2015.

ويعود ذلك، بحسب الباحثة، إلى أن غناء الحوت قد لا يجذب الإناث فحسب، بل أيضاً ذكوراً منافِسة له قد تعكّر عليه صفو عملية الإغواء، مما قد يدفعه لاحقاً إلى مغادرة منطقة التكاثر من دون أن يكون حقق ما كان يصبو إليه رغم الجهود التي بذلها.

وبالتالي، بقدر ما يزيد عدد الذكور المنافسة حوله، تنخفض فاعلية الأسلوب الغنائي. ومن هنا لوحظ تغيير في الاستراتيجية: ففي مواجهة زيادة الكثافة، باتت الحيتان تفضّل اللجوء إلى القتال البدني، وغالباً ما يُشاهد بعضها يلاحق البعض الآخر، أو تتبادل الضربات بالرؤوس مثلاً.